

الباب الأول

التمهيد

1. خلفية البحث

السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن، يجب على كل من آمن بالله ورسوله اتباعه ورد إليه. قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا.¹ فهذه الآية وما أشبهها صريحة في الرد إلى كتاب الله تعالى وإلى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، لأن السنة بيان الكتاب وهو دليل على أن الحق فيه واضح، لا شيء بعده يقوم مقامه. وهكذا إذا اختلف أحد في مسألة فعليه ردها إلى الكتاب والسنة. لكن المشكلة في أن قد وجدوا اختلافًا وتعارضًا في الأحاديث حتى تمنعهم عن الفهم الصحيح فيه. وزعم بعضهم أن في الأحاديث عيبًا ونقصًا وتناقضًا واضطرابًا.

فالحقيقة أن السنة النبوية الشريفة مبرأة من كل عيب، خالية من أي نقص، منزهة عن التناقض والإضطراب، ولكنه قد تأتي في حالة نادرة، تعارض ظاهري بين بعض الأحاديث، اصطلاح العلماء على تسميته بمختلف الحديث تميزًا عن غيره من أنواع علوم الحديث.

فمختلف الحديث من العلوم المهمة إذ هو من العلوم الأساسية اللازمة لفهم السنة فهما سليما، دفع التعارض المتوهم بين الأحاديث النبوية ودحض الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام

¹ سورة النساء: 59.

ويشككون من خلالها في السنة النبوية. وهو كذلك من أهم الأدوات اللازمة لاستنباط الأحكام الشرعية من السنة النبوية استنباطاً صحيحاً وبدونه يقع الباحث في الخط ولا يستطيع الوصول إلى الحكم الصحيح.

فقد اعتنى كثير من العلماء في هذه القضية عناية كبيرة. كان من أحسنهم براعة في العناية به وفي الجمع بين هذه المرويات التي يبدو على ظاهرها التعارض حتى قال عن نفسه: "لا أعرف حديثين متضادين، فمن كان عنده فاليأتي به لأؤلف بينهما".² ومن اعتنائهم الكبير أنهم قد صنفوا الكتب في مختلف الحديث. ومن أول من صنف في هذا العلم هو الإمام الشافعي في كتابه "اختلاف الحديث" الذي ذكر فيه طرفاً من الأخبار المتعارضة، وفي الحقيقة أنه لم يقصد الاستقصاء. قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: وصنف فيه³ الإمام الشافعي ولم يقصد - رحمه الله - استيفاءه، بل ذكر جملة ينبه بها على طريقة.⁴

ومن صنف فيه كذلك أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري رحمه الله تعالى في كتابه تأويل "مختلف الحديث" وكان غرضه من هذا الكتاب: الرد على من ادعى على الحديث التناقض والاختلاف، واستحالة المعنى من المنتسبين إلى المسلمين.⁵ وكذلك يستبين أن ابن قتيبة - رحمه الله - إنما قصد من تأليف هذا الكتاب: دحض الشبه التي يطعن أهلها - من المسلمين - بها على السنة

² عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة)، ج 2، ص 196.

³ أي: في علم مختلف الحديث

⁴ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، تحقيق وتعليق: محمد عثمان الخشت، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1405 هـ - 1985 م)، ط 1، ج 1، ص 90.

⁵ ابن قتيبة الدينوري، تأويل مختلف الحديث، (القاهرة: دار الحديث، 2006 م - 1427 هـ)، ص 142.

ويصمون أحاديثها بالتناقض والتضاد، وينعون عليها اشتغالها على المعاني التي يحكم العقل باستحالتها وعدم مطابقتها للحقيقة والمنطق والحس. قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: ثم صنف فيه ابن قتيبة فأتى بأشياء حسنة وأشياء غير حسنة لكون غيرها أقوى وأولى وترك معظم المختلف.⁶

ولما كان علم مختلف الحديث من أهم العلوم وصعوبته، ولما كان الإمامان الشافعي وابن قتيبة من أبرز من كتب في هذا العلم المهم، ولما كان كتاباهما اختلاف الحديث وتأويل مختلف الحديث من أهم ما كتب فيه، فإن ثمة ضرورة لإبراز معالم منهجي هذين الإمامين في دفع التعارض بين الأحاديث المتعارضة. ونظراً لأهمية هذه الدراسة كما قد سبق ذكرها، فقد اخترت أن يكون بحثي في هذا الموضوع وأخذت موضوع: اختلاف الحديث بين الإمام الشافعي والإمام ابن قتيبة (دراسة مقارنة في علم مختلف الحديث).

2. أسباب اختيار الموضوع

ومن أسباب التي دفعت الباحثة إلى اختيار هذا الموضوع فيما يلي:

- 1) علم مختلف الحديث من أهم أنواع علوم الحديث وصعوبته. أن فهم الحديث النبوي الشريف فهماً سليماً، واستنباط الأحكام الشرعية من السنة النبوية استنباطاً صحيحاً لا يتم إلا بمعرفة مختلف الحديث.
- 2) الإمام الشافعي وابن قتيبة من أول من اعتنى بمختلف الحديث ومن أبرز من كتب فيه، وكان كتاباهما اختلاف الحديث وتأويل مختلف الحديث من أهم ما كتب فيه.

⁶ تدريب الراوي، ج 2، ص 196.

3) يعالج البحث كيفية حل التعارض الظاهري بين الأدلة النقلية وهو بمعرفة مناهج العلماء في

دفع التعارض بين الأدلة.

4) كما عرفت الباحثة لم يكن هناك أي دراسات علمية التي خصصت بالمقارنة بين منهج

الإمامين الشافعي وابن قتيبة في دفع التعارض بين الأحاديث المتعارضة.

3. بيان المصطلحات الواردة في البحث

الموضوع لهذا البحث هو "اختلاف الحديث بين الإمام الشافعي والإمام ابن قتيبة

(دراسة مقارنة في علم مختلف الحديث)". للابتعاد عن الأخطاء في فهم الموضوع السابق، فهذا

الأمر يحتاج إلى بيان المصطلحات الموجودة في هذا الموضوع، منها :

مختلف الحديث : الأحاديث التي ظاهرها التناقض من حيث إمكان الجمع بينهما، إما

بتقييد مطلقها أو بتخصيص عامها أو بحملها على تعدد الحادثة أو غير

ذلك. أو ما شبه ذلك أو ببيان الناسخ والمنسوخ أو بترجيح أحدهما.

الإمام الشافعي : هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن الشافعي بن السائب بن

عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن مطلب بن عبد مناف بن قصي بن

كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر

بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن

عدنان أبو عبد الله الشافعي رحمة الله عليه ورضوانه.⁷ هو أول من

صنف في مختلف الحديث وهو كتاب "اختلاف الحديث"

الإمام ابن قتيبة : هو الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل

المزوي.⁸ واشتهر بابن قتيبة. وهو صاحب كتاب "تأويل مختلف

الحديث.

4. حدود البحث وتحديده

أ. حدود البحث

هذا البحث يبحث فيه عن مختلف الحديث بين الإمامين الشافعي وابن قتيبة

وتركز هذا البحث في كتابيهما إختلاف الحديث وتأويل مختلف الحديث نظرا على أن

هذين الكتابين من أول كتب صنفا في علم مختلف الحديث.

ب. تحديد البحث

1) ما منهج الإمامين في دفع التعارض بين الأحاديث من خلال كتابيهما؟

2) ما هو أثر منهج الإمامين في مختلف الحديث في استنباط الأحكام؟

⁷ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، /نقعات، تحقيق السيد شرف الدين أحمد (دار الفكر، الطبعة الأولى، 1395 - 1975)، ج 9، ص 30

⁸ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، سير اعلام النبلاء، (دار الحديث - القاهرة، 1427 هـ - 2006 م)، ج 13، ص 296.

5. أغراض البحث وفوائده

أ. أغراض البحث

(1) لمعرفة مفهوم مختلف الحديث بين الإمام الشافعي والإمام ابن قتيبة من خلال كتابيهما

(2) لمعرفة المنهج الذي سار عليه الإمامين في دفع التعارض بين الأحاديث

(3) لمعرفة أثر منهجهما في استنباط الأحكام

ب. فوائد البحث

(1) للإرشاد إلى تطبيق منهج الإمام الشافعي والإمام ابن قتيبة في مواجهة الأحاديث

المتعارضة.

(2) لترقية العلوم والمعرفة فيما يتعلق بمختلف الحديث.

(3) لحل المشكلة بين الأحاديث المتعارضة ونيل الفهم الصحيح منه.

(4) للحصول على درجة الماجستير في قسم التفسير والحديث

6. هيكل البحث

هذا البحث يتكون من خمسة أبواب:

الباب الأول: التمهيد

فيشتمل على خلفية البحث وأسباب اختيار الموضوع وتأكيد المصطلحات

الواردة في البحث وحدود البحث وتحديد أغراض البحث وفوائده وهيكل

البحث.

الباب الثاني : مختلف الحديث

فيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : علم مختلف الحديث نشأته وتطوره وأهميته

الفصل الثاني : التعريف بمختلف الحديث

الفصل الثالث : الدراسات السابقة

الباب الثالث : منهج البحث العلمي

فيشتمل هذا الباب على تعريف منهج البحث العلمي والمنهج الذي سارت عليه

الباحثة في البحث ومصادر المعلومات التي رجعت إليها الباحثة

الباب الرابع : اختلاف الحديث بين الإمامين الشافعي وابن قتيبة

فيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ترجمة الإمام الشافعي والإمام ابن قتيبة

الفصل الثاني : التعريف بكتاب اختلاف الحديث وكتاب تأويل مختلف

الحديث

الفصل الثالث : المقارنة بين الإمامين في مختلف الحديث ومنهجهما فيه

الباب الخامس: الإختتام

فيشتمل هذا الباب على :

الخلاصة : فهي استعراض أهم النتائج من هذا البحث

الإقتراحات : فهي التوصيات من هذا البحث